يونيسيتي بروني دار السلام

أغراض الشعر في العصر الجاهلي

حاج حمرين بن حاج أحمد

قسم اللغة العربية

معهد السلطان حاج عمر علي سيف الدين للدراسات الإسلامية

جامعة بروناي دار السلام

١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م

أغراض الشعر فى العصر الجاهلى

086800

حاج حمرين بن حاج أحمد

٩٩٢٦٤٢

قسم اللغة العربية

معهد السلطان حاج عمر على سيف الدين للدراسات الإسلامية

جامعة بروناى دارالسلام

١٩٩٩ - ٢٠٠٠م

اعتراف

أقر بأن هذا البحث هو من عملى وجهدى إلا المراجع التى أشرت إليها .

.....

حاج حمرين بن حاج أحمد

قسم اللغة العربية

معهد السلطان حاج عمر علي سيف الدين للدراسات الإسلامية

جامعة بروناى دارالسلام .

أغراض الشعر فى العصر الجاهلى

وافق عليه

....

الدكتور محمد الأمير محمد السيد التاريخ

(المشرف)

قسم اللغة العربية

معهد السلطان حاج عمر على سيف الدين للدراسات الإسلامية

جامعة بروناى دارالسلام

....

فقيران الدكتور حاج محمد بن فقيران حاج عبد الرحمن التاريخ

(عميد معهد السلطان حاج عمر على سيف الدين للدراسات الإسلامية)

جامعة بروناى دارالسلام

شكر وتقدير

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإننى أقدم آيات الشكر والتقديم والإمتنان لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الأمير محمد السيد الذى ساعدنى كثيرا فى إرشادات وتعليمات قيمة لكتابة هذا البحث فجزاه الله على علمه أحسن الجزاء فى الدنيا والآخرة.

لا أنسى أن أقدم شكرى الى جامعة بروناى دارالسلام لاعطائ الفرصة العظيمة لكتابة هذا البحث . وكذلك إلى جميع أساتذتى الذين قدموا لى كل العلوم والمعرفة، وإلى والدى الذين اعطيانى تشجيعا لمواصلة الدراسة . وجزاهم الله خير الجزاء.

واخيرا ، أشكر جزيل الشكر إلى عميد معهد السلطان حاج عمر على سيف الدين للدراسات الإسلامية الدكتور فغيران حاج محمد بن فغيران حاج عبد الرحمن، وكذلك إلى مكتبة جامعة بروناى دارالسلام ومكتبة جامع عصر حسن البلقية ، وإلى جميع أصدقائى خاصة ؛ محمد سعد ، حاج رضوان ، أك سيف البحرين ، خيرول ، عليزن ، حاج سونايدي ، روحيدة ، حاجة تينى ، حاجة سيتى فوجية ، وإلى كل من ساعدنى فى إنجاز هذا العمل . جزاهم الله عنى خير الجزاء.

المقدمة

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين ، سيدنا **محمد** وعلى آله وأصحابه والتابعين ، وبعد ،

فقد اخترت أغراض الشعر فى العصر الجاهلى لما فى الشعر العربى من سمات **وصفات** تمتع العقل والعاطفة معا ففيه تفنن وبراعة وقدرة على الصياغة ، وكل ذلك يجذب **القارئ** أو السامع ويزيده تمتعا وإعجابا بالشعر العربى ويمدى ما وصل إليه الشعراء كما أننى **اخترته** لتزداد ثروتى اللغوية .

وسرت فى بحثى هذا كما يلى :-

١ - المدخل تناولت فيه نشأة الشعر الجاهلى ومكانته .

٢ - الفصل الأول رواية الشعر الجاهلى وتدوينه تناولت فيه رواته من القرن الأول إلى القرن الثانى .

٣ -الفصل الثانى مصادر الشعر الجاهلى تناولت فيه الدواوين المفردة والدواوين القبائل ومجموعات كتب المختارات ومصادر أخرى .

٤ - الفصل الثالث الشعر فى العصر الجاهلى تناولت فيه تعريف الشعر العربى واغراضه وشكل القصيدة وخصائصه اللفظية والمعنوية وأنواعه.

فاستعنت بالله وقرأت مصادر كثيرة حصلت منها على معلومات كثيرة ووجدت أن الشعر العربى وأغراضه كالمحيط فى غزارته ولكننى بذلت جهدى وكتبت هذا البحث بجهد الوسع .

ونسأل الله أن ينال البحث إعجابكم والله ولى التوفيق .

المحتويات

المحتويات صفحة

المدخل ١-٢

الفصل الأول " رواية الشعر الجاهلى وتدوينه "

رواية الشعر الجاهلى وتدوينه..... ٣-١٨

الفصل الثانى " مصادر الشعر الجاهلى."

مصادر الشعر الجاهلى..... ١٩- ٢٠

الدواوين المفردة..... ٢٠

دواوين القبائل..... ٢٠ - ٢٢

مجموعة كتب المختارات..... ٢٢ - ٢٧

المفضليات..... ٢٧ - ٣٠

الأصمعيات ..... ٣٠ - ٣٢

جمهرة أشعار العرب ..... ٣٢ - ٣٤

ديوان الحماسة لأبى تمام..... ٣٤ - ٣٦

مصادر أخرى..... ٣٦ - ٣٧

الفصل الثالث " الشعر فى العصر الجاهلى "

تعريف الشعر العربى..... ٣٨ - ٤٠

أغراض الشعر فى العصر الجاهلى..... ٤٠ - ٤٢

الغزل..... ٤٢ - ٤٦

الحماسة..... ٤٦ - ٤٨

صفحة

الفخر..... ٤٨ - ٥٢

الرثاء..... ٥٢ - ٥٤

المدح..... ٥٥ - ٥٧

الهجاء..... ٥٧ - ٦٠

الوصف..... ٦٠ - ٦٢

الحكمة..... ٦٣ - ٦٥

الإعتذار..... ٦٥ - ٦٧

شكل القصيدة..... ٦٧ - ٦٨

خصائص الشعر الجاهلى..... ٦٨ - ٦٩

الخصائص المعنوية..... ٦٩ - ٧٢

الخصائص اللفظية..... ٧٢ - ٧٣

أنواع الشعر..... ٧٣ - ٧٦

الخاتمة

المراجع

المدخل

المدخل

لا أحد يستطيع أن يحدد الفترة التى نشأ فيها الشعر الجاهلى والمعتمد عليه عند النقاد أن الشعر الجاهلى وصل الينا فى الفترة قبل ظهور الإسلام بمائة وخمسين سنة . والبحث عن بداية نشأته وتكوينه أمر إفتراضى لا يستند الى أدلة قاطعة.

لذلك فالدراسة لهذا الموضوع أمر مستحيل حتى وإن كان بعض الكتاب والمؤلفين قد كتبوا نماذج الشعرية لها كلمات غير مألوفة وغير معروفة ولا فائدة فى بحثها أو كتابتها وسأقتصر على ممن أشياء التى تقوم على الأدلة والبراهين.

للشعر الجاهلى مكانته المرموقة بين المأثور بين أدب العرب طوال حياتهم التاريخية منذ ذلك الزمن البعيد الذى عاشوا فيه في حدود جزيرتهم أو أطرافها لا يتجاوزنها الإلماما الى العصور التى انتشروا فيها فى الأرض حاملين أضوأ الإسلام الذى رفعوا مشاعله فى مختلف البقاع ، وتقاليد العروبة التى ربوا فى ظلالها ، والتى ورثوها عن أسلافهم الأمجاد.

وكأنما ورث العرب طبيعة الحرث على هذا التراث الأدبى ، حتى أصبحت تجرى فى دمائهم وتنتقل فى أصلابهم ، فلم يفقدوها فى عصر من عصورهم . فما من عصر من عصور التاريخ الطويلة التى عاشت فيها الأمة العربية ، الا وقد برزت العناية فيه بالشعر الجاهلى بروزا واضحا ، على الرغم من الأحداث التى كانت تستهدف لها هذه الأمة ، فتقرق صفوفها

وتعبث بوحدتها ، وتعود بها القهقرى في ميادين السياسة والإجتماع ، وميادين العلم والمعرفة ، حتى صارت أوطانهم مطمعا للغزاة الذين كانوا ينتهزون فرص الضعف فيستغلونها ، ومواطن النقص فى صفوفهم فيعملون على اقتحامها.

ولم تستطع تلك الأحداث الكثيرة والخطوب المبيرة أن تغشى على ذلك التراث الأدب الحافل ، ولا أن تنسى العرب تعهد هذا الأدب بالرواية والحفظ والمدارسة ، لأنهم وجدوا هذا الأدب ركنا من أركان حضارتهم الفنية ، وثقافتهم الإنسانية .

ولا يزال الشعر الجاهلى يحظى بهذه المنزلة فى جميع البلاد العرب ، وغيرها من البلاد التى تعى بتاريخ هذه الأمة ، ودراسة حضارتها ومقوماتها ، سواء أكانت تلك الدراسة تستهدف المعرفة المجردة ، والبحث الذى يراد به استتمام حلقات المعرفة بالشعوب ، والحضارة الإنسانية ، أم كانت ترمى الى تحقيق غرض مادى من أغراض السيادة والإستعلال ، ذلك أن الشعر الجاهلى هو أبرز فنون الأدب العربى ويعد أهم مصدر من المصادر التى يستمد منها الباحثون فى تاريخ هذه الأمة وحضارتها.

الفصل الأول

رواية الشعر الجاهلي وتدوينه

رواية الشعر الجاهلى وتدوينه

لم تعد معرفة عرب الجاهلية للكتابة موطن شك ، إن كثرة منهم فى الحواضر ، وقلة فى البادية ، كانت تقرأ وتكتب . ولم يعد مناط اختلاف أن بعضا من آثارهم الأدبية قد دون ، لكنها آحاد لا تبرر التعميم؛ لأن الشعر أكثر ما يكون فى البادية ، والبادية أكثر ما تكون راحلة ، وما يكتب عليه فى تلك الحقبة من التاريخ - حجارة أو عظما أو خشبا أو أديما أو عسيبا أو قماشا، وكان أندرها وأغلاها ثمنا - لا يتهيأ نقله فى سهولة ، فقصروا تدوينهم على ما اقتضته الضرورات الإجتماعية والاقتصادية ، من الصكوك والعهود والأحلاف والمواثيق ، والرسائل المقتضبة ، والكتب الدينيه ، والقليل من الشعر ، أما كثرته الغالبة فكان مجال حفظها الذاكرة والرواية.

وقد اضطلع الشعراء أنفسهم بدور هام فى الرواية ، فكانت لهم المدرسة التى يتعلمون فيها صوغ الشعر ونظمه، والتمرس بأساليب الكلام وفنون القول ، ومن أراد أن يصبح شاعرا لزم واحدا من فحولهم ، يحفظه عنه ، ويروى له ويترسم خطاه ولدينا معلومات لا بأس بها عن اتصال هذه الروايات. كان زهير بن أبى سلمى راوية أوس بن حجر ، وكان كعب بن زهير والحطيئة روايتى زهير ، وكان هدبة بن خشرم العذرى راوية الحطيئة ، وجميل بثينة راوية هدبة ، وكثير عزة راوية جميل ، وتكاد الخصائص الفنية لشعر كل منهم تتقارب مع خصائص سابقة ولا حقه ، ومن تأمل هذا الإسناد تدرك أن الراوية قد يكون ابن الشاعر ، أو أحد أقربائه ، وقد يكون غريبا عن القبيلة كلها ، فالحطيئة عبسى من مضر ، وهدبة عذرى

من حمير ، ويصبح دور الراوى أطثر أهمية بعد وفاة الشاعر ، لأنه يتعدى مهمة نشر قصائده الى جمعها ، وإظهار الظروف والمناسبات التى أوحت بها ، وتفسير الإشارات التاريخية التى تتضمنها ، ويصبح بحكم الواقع أمينا على تراث حياة صانعه ، ومناط اهتمام القبيلة التى ينسب فيها .

وكان شعراء كل قبيلة وأفرادها يروون شعر اسلافهم ، وظهور شاعر كبير فى القبيلة مدعاة للفخر ، والإحتفاظ بآثاره شئ تفرضه العصبية وضياعها أمر يمس شرف القبيلة ، وأصدقاء الشاعر يستظهرون بعضا من قصائده . وثمة فارق بين حفظ القبيلة وحفظ الرواية ،القبيلة تحفظ من قصيد شاعرها ما يعلى شأنها ، ويسجل أمجادها ، فإذا تعرض لحرب هزمت فيها تناست ذلك الشعر ، أو ما يمسها منه على الأقل ، وروايتها له لا تجرى على نسق واحد ، وإنما ترتبط بأعمار أفراد القبيلة وأمزجتهم . يحفظ منه الشباب ما كان غزلا يمس العواطف ، ويردد الرجال ما كان حماسة تلهب المشاعر ، ويتمثل الشيوخ ما كان حكمة ترضى العقل، أما الراوية المحترف فيحفظ ذلك كله ، الغزل والحماسة والحكمة ، الرثاء والهجاء والفخر ، ما بلغ فيه الشاعر القمة أو قصر عن الإجادة .

ويصمت الحديث عن تدوين الشعر وتخف حدة روايته بعد البعثة المحمدية ، فقد كان من العسير ، والإسلام فى نشأته يقيم نظاما ، ويؤسس دولة ويضع نماذج جديدة للسلوك العربى ، أن تجد فكرة تدوين ، أو حتى رواية، شعر ملئ بالمفاخر القبيلة ، وبما كان الإسلام ضده ، ترحيبا أو قبولا من أحد الى جانب ما شغل به الناس من غزو وتشريع ، وما ملأ

وجدانهم من أفكار ومثل . أورد ابن سلام فى طبقاته قول عمر بن الخطاب " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه " ثم عقب عليه بقوله " فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، وأطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، ألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ؛ فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم من كثير . وقد كان عند النعمان بن المنذرمنذ ديوان فيه أشعار الملوك ، وما مدح هو وأهل بيته به ، فصار ذلك إلى بنى مروان ، أو صار منه".[١]

ويأتى ابن خلدون فيعطى الأمر مزيدا من الإيضاح والتفصيل والتحديد :

" انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحى ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك، وأنس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحى فى تحريم الشعر وحظوه ، وسمعه النبى صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى دينهم منه "[٢] .

إلا أنه لم يكد النظام الإسلامى يستقر وتتوطد دعائمه ، بقدر لا يخشى معه رواية قصيدة أوتبجح قبيلة ، حتى عاد الناس يروون ويكثرون من روايته ، ويتحدثون عن تدوينه

---

١. دراسة فى مصادر الأدب - للدكتور الطاهر أحمد مكى الطبعة السادسة ، ١٩٨٦ دار المعارف - ص ١٤.

٢ . نفسه - ص ١٥

كخاطر يرد فى الأذهان أو يمكن أن يتحقق ، ولدينا إشارة عن تدوين تم تعود الى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ، فقد كتب أعشى همدان ، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، قصيدة عام ٦٥ هجرية - ٦٧١ م عن أحداث تلك السنة ، وكان الأعشى جنديا فى الجيش الذى وجهه الحجاج بن يوسف الثقفى لفتح بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلى ، ومن توافق الصدف أن أقدم " مصور جغرافى " فى العربية يعود الى هذا الجيش ، فعندما استبطأ الحجاج حصار قائده لبخارى ، أرسل اليه يطلب منه " مصورا جغرافيا " للمنطقة ، وعندما تلقى هذا "المصور " درس الوضع الحربى فى ضوئه، وأرسل الى القائد بتعليماته . وفيما بين عامى ٨٠ و ٨٤ هجرية وجد فى كرمان ديوان شعر لأبى جلدة اليشكرى ، وفى نفس هذه الفترة اتخذ عبد الحكيم بن عمرو بن عبد الله الجمحى بيتا جعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل فى الجدار أوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفترا فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم . وكان فى "كتاب" معاصريه الضحاك بن مزاحم ثلاثة آلاف صبى يتعلمون القرأة والكتابة ، وكان يطوف بهم على حماره.

فاذا وصلنا الى القرن الأول الهجرى ، بداية الثامن الميلادى ، أصبح بين أيدينا من الدلائل ما يجعل تدوين الشعر أمرا مقررا . فالخطاط خالد بن أبى الهياج كان يكتب للخليفة الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هجرية - ٧١٥ م) " المصاحف والشعر والأخبار " . وسلامة القس كانت تملك بعد وفاة عمر بن أبى ربيعة (١٠١ هجرية - ٧١٩ م) مجموعة من أشعاره التى يغنى بها . والخليفة الوليد بن يزيد (ت ١٢٧هجرية - ٧٤٤ م) أمر بجمع " ديوان العرب

وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها " . لكن هذا التدوين كان ، فيما يبدو ، عملا عفويا وفرديا ، يخضع لأذواق الأشخاص ومتطلبات السياسة . ويخيل الى أن طريقة الكتابة فى البدء . كانت وراء قلة التدوين ، وانتشار الرواية ، لأنها - رغم الإصلاحات التى أدخلت على النقط والإعجام زمن الوليد بن عبد الملك - لم تكن كافية لرسم النصوص الصعبة المحشوة بالكلمات النادرة ، وأسماء الأمكنة الغريبة ، فبقى الإعتماد على الذاكرة أمرا ضروريا لقرأة القصيدة المكتوبة قرأة دقيقة وصحيحة ، إلى أن ثبتت فيما بعد قواعد الرسم والإعجام .

ولا نكاد نتجاوز القرن الأول الهجرى ونمضى فى الثانى شيئا ، حتى نلتقى بطبقة جديدة من الرواة العلماء ، من العرب أو الموالى ، يعيشون فى الحضر ، وعلى دراية واسعة بحياة البدو ، يجيدون لغة الأعراب ، ويعرفون أساطيرهم وأخبارهم وأنسابهم ، ويتمتعون بذواكر قوية ، وعلى اتصال دائم بسكان البادية ، يرحلون إليهم فى منازلهم ، أو يلقونهم فى الحواضر ، يمتهنون جمع الشعر وحفظه وروايته ، ودرسه وتفسيره وإذاعته ، ويجمعون الى مشافهة الأعراب ما قرءوه مدونا ، أو تلقوه عن شيوخهم علما ، والجيل الأول منهم ، كابن السائب الكلبى وعوانة ابن الحكام ، وحماد الرواية ، لم يدون من روايته شيئا ، فقد تكفل هشام بن السائب برواية مأثور أبيه ، وكان عوانة كفيفا يملى ولا يكتب ، ويقول ابن النديم فى كتابه " الفهرست " : لم يرد لحماد كتاب ، وإنما روى عنه الناس وصنفت الكتب بعده " ، بينما آثر الجيل الذى تلقى عنهم الرواية ، أو عاصرهم فى تلقيها وكان أحدث منهم عهدا ، أن يدون ما سمع ، أو يترك لتلاميذه مهمة التدوين . ولم يكن علماء الطبقة الأول يسندون رواياتهم ، وكان من بعدهم يرتفع بها اليهم ، وينتهى عندهم .

كان هؤلاء الرواة يتفاوتون فيما بينهم صدقا وأمانة ودقة ، تبعا لتكوينهم الطبقى والعنصرى والثقافى ، وصمودهم أمام ضواغط البيئة حولهم ، سياسة واجتماعية وعلمية ، أو استجابتهم لها . حتى اذا استكملت الحياة الثقافية مقوماتها فى البصرة والكوفة ، تميزت كل منهما بطابع أثر عنها وعرفت به ، وربما كان أهم الفروق الأساسية بين المدرستين أن مدرسة البصرة استهدفت وضع قواعد عامة للغة تلتزمها وتسير عليها فى دقة وحزم ، فأهدرت الشواذ ، وخطأت بعض العرب ، وإذا اصطدمت قواعدهم بما هو ثابت من صحيح الرواية قالوا " : يحفظ ولا يقاس عليه " بينما احترمت مدرسة الكوفة كل ما جاء عن العرب ، تجيز للناس استعماله ، ولو كان لا يلتزم القواعد العامة ، وهم بهذا أقرب الى فهم طبيعة اللغة ومنطقها - إن كان للغات منطق -وكانت الخصائص العامة لكل مدرسة لا تظهر فى اللغة وحدها ، وإنما تتجاوزها الى ما وراء ذلك من الآثار والأخبار . وأدى التنافس بين المدرستين الى تعصب كل فريق لمدرسته ، واتهام المدرسة الأخرى وتضعيفها ، وتبادل العلماء تهم الجهل والوضع والتحريف ، أمر يجعل مهمة الباحث أكثر مشقة وهو يوازن بين الآراء والروايات ، ينخلها ويصفيها من الدوافع الشخصية والحزازات.

كان رأس هذه الطبقة أبو عمرو بن العلاء ، عربى من تميم ، مؤسس مدرسة البصرة فى النحو وشيخها ، وأحد القراء السبعة ، ومن أعلم الناس بالقرآن ولغاته وتفسيره وغريبه ، وكان إماما فى الشعر والنحو واللغة وأيام العرب ، ثقة مأمونا حتى عند الكوفيين ، ولد بمكة سنة ٦٩هجرية - ٦٨٩ م ، ونشأ فى البصرة ، وتوفى فى الكوفة قافلا من رحلة الى دمشق عام

١٥٥ هجرية - ٧٧٠ م ، وكان أبوه مشهورا معروفا وقائما على "طراز" الحجاج وجده عمار من أصحاب على بن أبى طالب ، رضى الله عنه . وقد مدح الفرزدق الشاعر أبا عمرو بن العلاء وأثنى عليه فى أبياته [٣] :

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها ... حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

حتى أتيت فتى محضا ضريبته ... مر المريرة حرا وابن أحرار

ينميه من مازن فى فرع نبعتها ... أصل كريم وفرع غير خوار

دون أبو عمرو قدرا كبيرا من الشعر العربى ، وبخاصة الجاهلى منه ، الى جانب الأخبار المتعلقة به ، وطبقا لرواية أبى عبيدة ، فإن ما كتبه " ملأ بيتا له الى قريب من السقف ، لم تقرأ - أى تنسك - فأحرقها " ، ولم يعد يهتم بعد احراقها إلا بالقرآن ودراساته . ولا يعنى ذلك . فيما أرى ، أنه أعرض عن الشعر تماما ، فدراسة القرآن ، فى تلك الفترة من الزمن ، كانت تقوم فى جانب منها على تفسير غريب القرآن ومجازه بالشعر ، لكن القصة تدل ، دون شك ، على أن بعض المتنسكين كان يستشعر الحرج فى دراسة وتدوين آثار أدبية تمجد من الأخلاق ، أو تبيح من المحظورات ، ما لا يرضى عنه الإسلام . إلا أن صياغ كتبه لم يحرمنا كلية من علمه الواسع ، فقد كان له طلاب كثيرون تثقفوا من علمه ، ونهلوا من فيضه ، وحفظوا كثيرا مما روى وما جمع ، ونقلوه إلينا شفاها ، أومدونا بيد طلابهم فيما بعد.

---

٣. دراسة فى مصادر الأدب - للدكتور الطاهر أحمد مكى - ص ١٨

ثم خلفه فى مدرسة البصرة أنجب تلاميذه خلف بن حيان ، ويكنى أبا محرز البصرى ، ويعرف بخلف الأحمر ، (ولد ١١٥ هجرية - ٧٣٣م وتوفى ١٨٠هجرية - ٧٩٦ م) من أبناء الصغد من فرغانة ، سباهم قتيبة بن مسلم الباهلى أثناء افتتاح بلاد ما وراء النهر ، وجئ بهم الى البصرة ، وكان خلف مولى أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، فأعتقه واعتق أبويه . وأمضى طفولته ، وكانت شقية ، فى أوساط البصرة العلمية ، أخذ اللغة عن أبى عمرو بن العلاء، وأخذ النحو عن عيسى بن عُمر النحوى (ت ١٤٩ هجرية - ٧٦٦ م) ، وجمع علما كثيرا ، فكان عالما بالغريب والنحو والأنساب والأخبار ، شاعرا كثير الشعر جيده ، ولم يكن بين نظرائه من هم أكثر شعرا منه ، وله خطرات نقدية صائبة . " سئل : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهى هذا إلى واحد يجتمع اعليه، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس . فقيل له : أيهم أعجب اليك يا أبا محرز ؟ قال : الأعشى " ، فهو لا يرتضى ما كان شائعا فى عصره من نقد يقوم على الخاطرة والذوق والهوى دون احتياط أو استقراء أو تفصيل فى التعليل ، وعنه تصدر أحكم التفضيل المطلق للبيت أو القصيدة أو الشاعر ،ولكنه لا يتردد فى أن يصرح بمن يلتقى مع هواه من الشعراء حق ما يراه لغيره ، كما ارتضاه لنفسه ، وبتقريره يستحيل أن يلتقى الناس على رأى اذا ما سئلوا : من هو أعظم الشعراء ؟.

كان خلف أول من أحدث السماع فى البصرة ، وقرأ عليه أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الرواية ، لأنه أكثر الأخذ عنه ، وبلغ مبلغا لم يقاربه حماد ، وأجمع الناس فى الكوفة والبصرة على الإقرار بمعرفته الدقيقة والواسعة بالشعر الجاهلى ، وقدرته المصيبة على تمييز الصحيح من المنحول ، يقول ابن سلام " اجتمع أصحابنا أنه كان

أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقهم لسانا ، كنا لا نبالى اذا أخذنا عنه خبرا ، أو أنشدنا شعرا ، ألا نسمعه من صاحبه " . ويذكر ابن النديم فى " الفهرست " أن له " كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر " وقد ضاع الكتاب نفسه ، ولكن الجاحظ احتفظ بفقرات منه فى كتابه " الحيوان " وكان خلف شاعرا ، ويروى ياقوت فى كتابه " ارشاد الأريب الى معرفة الأديب " : " أن له ديوان شعر حمله عنه أبو نواس " ويكثر قول الشعر فى وصف الحيات ، وأراجيزه فى ذلك كثيرة ، وما وصلنا من شعره يعكس مقدرة فائقة على النظم ، ولا يدل على موهبة شعرية حقيقية ، والأبيات التى رواها له ابن قتيبة فى " الشعر والشعراء " لون من الفكاهة المستملحة فى ذم جماعة من الحجاج البخلاء[٤] :

سقى حجاجنا نوء الثريا	على ما كان من بخل ومطل
هم جمعوا النعال وأحرزوها	وشدوا دونها بابا بقفل
فإن اهديت فاكهة وجديا	وعشر دجائج بعثوا بنعل
ومسواكين قدرهما ذراع	وعشر من ردى المقل خشل
أناس تائهون لهم رواء	تغيم سماؤهم من غير وبل
اذا انتسبوا ففرع من قريش	ولكن الفعال فعال عكل

وقد مر خلف بالأزمة النفسية التى مر بها أستاذه أبو عمرو بن العلاء . من قبل ،

---

٤ .دراسة فى مصادر الأدب - للدكتور الطاهر أحمد مكى - ص ٢٠

نسك وتقرأ فى أواخر حياته ، وكان يختم القرآن فى كل يوم وليلة ، " وبذل له بعض الملوك مالا عظيما خطيرا على أن يتكلم فى فى بيت شعر شكوا فيه فأبى ذلك ، وقال : قد مضى لى فى هذا ما لا أحتاج إلى أن أزيد فيه" .

اتهم خلف ، كما اتهم غيره ، بالوضع والنحل، فقيل أنه كان يعمل على ألسنة الناس يشبه كل شعر يقوله بشعرٍ الذى يضعه عليه، وأنه وضع على شعراء عبد القيس شعرا موضوعا كثيرا ، وعلى غيرهم ، عبثا بهم ، وأنه نحل أبا داود الإيادى أربعين قصيدة ، وكان يأخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب ويعطيه المنحول " فيقبل ذلك منى ويدخله فى أشعارها ، وكان فيه حمق " . وأنه نظم لامية العرب المشهورة ، التى أولها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

ثم نسبها إلى الشنفرى ، كما صنع القصيدة التى مطلعها:

إن بالشعب إلى جنب سلع لقتيلا دمه ما يطل

ونحلها ابن أخت تأبط شرا ، " فلما تقرأ ونسك خرج الى أهل الكوفة ، فعرفهم الأشعار التى قد أدخلها فى أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا فى ذلك الوقت أوثق منك الساعة ، فبقى ذلك فى دواوينهم الى اليوم".

هذه الفقرة الأخيرة تكشف فى جلاء قيمة الروايات التى ترمى خلفا بالوضع ، وتنزع

القناع عن الأسباب التى وراءها ، فليس خلف هدفا فى ذاته ، انما الهدف المدرسة الكوفية وعلماءها، فما داموا قد تلقوا عنه ، وسمعوا منه ، فلا بد أن يكون وضاعا ، ويصبح ما بين يدى الكوفيين من روايات موضع شك ومطعونا فى صحته ، والرواية تفصح نفسها بنفسها ، فمن العجيب أن يمضى عالم إلى قوم أخذوا عنه ، فيدلهم ، حقا أو افتراضا ، على مازل منه عغوا أو قصدا ، فيرفضوا تصحيحه ، ويعرضوا عن اعترافه ، ويبقوا على زيفهم ، ويصير ذلك فى دواوينهم الى اليوم" !

أكثر تلاميذ أبى عمرو بن العلاء ثقة وشهرة وهوالأصمعى ، عبد الملك بن قريب ، من أصل عربى ينتسب فى باهلة ، الضاربة فى الجنوب الشرقى من البصرة ، ولد ١٢٢هجرية - ٧٣٩ م ، وتوفى عن تسعين عاما فى ٢١٥ هجرية - ٨٣١ م ، ونقل عن فصحاء الأعراب الذين كانوا يفدون الى البصرة ، وأكثر الخروج الى البادية وشافة الأعراب ونقل عنهم ، وربما استغرقت رحلته اليها سنوات ، وأمضى جانبا من حياته فى الحجاز وبغداد ، فاكسبه ذلك علما واسعا بالجاهلية ، لغاتها وأخبارها وأشعارها ، فاكتسب مكانة ممتازة فى الأوساط الأدبية كأستاذ وعالم ، وكان موضع إجلال الخليفة هارون الرشيد وكافأه مرة بعشرة آلاف درهم لأنه أجاد فى وصف فرس له ، مستدلا على كل صفة ببيت من شعر جرير بن عطية الخطفى الشاعر المشهور . وتميز عن سابقيه بتقواه العظيمة ، شديد الإحتراز فى تفسير القرآن والحديث ، فاذا سئل عن شئ منهما يقول : العرب تقول معنى هذا كذا ، ولا أعلم المراد منه فى الكتاب والسنة ، وخلال فتنة خلق القرآن ، اعتزل الناس وقبع فى بيته ، وحرص المأمون على أن يصير إليه ، فاحتج بضعفه وكبر سنه ، فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل

ويسيرها اليه ليجيب عنها ، ورئى بعد ذلك راكبا حمارا دميما ، فقيل له " أبعد براذين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال : هذا وأملك ديني وأحب الى من ذاك مع فقده ".

كتب الأصمعى كثيرا ، فى مجالات مختلفة ، وتبلغ مؤلفته اثنين وأربعين مصنفا: بينها كتاب خلق الإنسان ، وكتاب الأجناس وكتاب الخيل ، وكتاب النوادر ، وكتاب معانى الشعر ، وكتاب الأراجيز ، وأغلبها غير مطبوع ، ورويت عنه دواوين كثيرة ، منها ديوان امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وعنترة وعلقمة الفحل ، وله مجموعة مختارة من الشعر القديم تحمل اسمه "الأصمعيات " .

فى الجانب الآخر كان حماد رأس مدرسة الكوفة ، واسمه حماد بن سابور ، وشهرته حماد الراوية ، واليه وحده تتجه كلمة " الراوية " اذا أرسلت . من أصول فارسية ، وقع أبوه سابور أسيرا فى الحرب ، وينتمى الى أسرة محاربة من الديلم . وقد ولد حماد فى الكوفة فى عام ٩٥ هجرية - ٧١٣ م ، وتوفى فيها مغمورا عام ١٥٦ هجرية - ٧٧٣ م ، وعبر التاريخين أمضى حياة عاصفة مضطربة ، فكان فى بدء حياته لصا يتشطر ، فنقب بيتا على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فلما قرأه استحلاه وحفظه ، ثم ترك التشطر ، وأقبل على الأدب والشعر والأخبار ولغات العرب .وكان مع حماد عجرد الشاعر ، وحماد بن الزبرقان النحوى يكونون فى الكوفة ثالوثا مزعجا ، يعيش حياة لاهية ، منطلقة غير مسئولة ، يتنادمون ويتعاشرون وكأنهم نفس واحدة ، ويرمون جميعا بالزندقة ، وتثير حياتهم نقمة الطبقة المحافظة ، وكثيرا ما كان يلقى بهم فى السجن فلا يبرحونه الا بعد شفاعة من كبير

يمدحونه ، وكانوا مع يحيى بن زياد الحارثى ، ومطيع بن إياس يتهاجون ويتغزلون ، ويقولون شعرا لا يخلو من رقة وبساطة .

كان حماد يتمتع بذاكرة قوية حافظة ، تعجبه الأسطورة ، ويهوى النادرة ، يستطيع أن يسترجع مئات القصائد المطولة من الشعر الجاهلى ، وأن يميز بينها وينسبها الىقائليها، و " المعلقات " التى بين أيدينا من روايته وكان الى جانب ذلك شاعرا ممتازا ، وروى له الأصمعى شيئا من شعره ، وأحيانا عامدا أو ناسيا يخلط شعره بشعر غيره ، ومن المؤكد أن طبيعة العبث فيه كانت تتجاوز حياته الخاصة إلى نشاطه العلمى ، فأصبحت نزاهته موضع شك وجدال عنيف .

كان المفضل الضبى (ت ١٧٠ هجرية - ٧٨٦ م) وهو كوفى مثله يقول عنه فى مرارة : لقد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئ فى روايته أم يلحن ؟

قال : " ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ، لا ...[٥]

ولكنه رجل عالم بلغات العرب وشعرها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله فى شعره ، ويحمل عنه ذلك فى الآفاق . فتختلط أشعار القدماء ، ولا

---

٥. دراسة فى مصادر الأدب - للدكتور الطاهر أحمد مكى - ص ٢٣

يميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، :وأين ذلك ؟".

ويقول إبن سلام " فى طبقات فحول الشعراء "[٦] : " كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ، ويزيد فى الأشعار " ، ويضيف ابن سلام :وسمعت يونس (ابن حبيب)يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر " .

ولكن الحملة على حماد ، رغم كل شئ يجب أن تؤخذ فى حذر شديد ، ونحن " نميل إلى أن نعد أكثر ما اتهم به حماد موضوعا ، دعت إلى وضعه عوامل عدة منها: هذه العصبية التى كانت متأججة بين البصرة والكوفة ؛ ومنها تلك المنافسات والخصومات الشخصية كالتى كانت بين المفضل وحماد ، ومنها العصبية السياسية ، فقد كان حمادا أموى الهوى والنزعة ، وكانت دولة بنى أمية قد ولت وأقبلت دولة جديدة تناصبها العداء ، وتريد أن تمحو محاسنها وآثارها ، وتحط من قيمة من اشتهر فيها أو نال لديها حظوة ، ومنها : أن حمادا كان - باعتراف الرواة - كثير الرواية واسع الحفظ ، فكان يروى ما لا يعرفه غيره ، ويحفظ ما لا يحفظون ، فاتهموه بالتزيد والوضع . وقد ساعد على كيل هذا الإتهام له وتضعيفه وتجريحه أنه كان ماجنا مستهترا بالشراب مفضوح الحال "[٧].

---

٦ .دراسة فى مصادر الأدب - للدكتور الطاهر أحمد مكى ص ٢٣.

٧. نفسه - ص ٢٤

الرجل الثانى فى مدرسة الكوفة ،ويلى حمادا الراوية فى العلم ، ويسبقه فى الثقة ، هو المفضل الضبى ، أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد بن يعلى ، من أصل عربى ، ولد فى فارس حيث كان أبوه من موظفى الديوان ، وشارك فى ثورة العلوى إبراهيم بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية ضد الخليفة المنصور ، وأجاره فى بيته زمنا ، وقد سجن ثم أخلى سبيله فيما بعد ، وأصبح أستاذا للمهدى ابن الخليفة ، كان عالما بأخبار الجاهلية وأنسابها ، راوية للشعر وأيام العرب ، قال عنه ابن سلام : " أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبى الكوفى "، وتتلمذ عليه جلة من كبار رواة عصره وعلمائه ، فكان من تلاميذه : أبو عمر إسحاق بن مرار الشيبانى ، وابن العربى ، والفراء وخلف الأحمر، وأبو زيد الأنصارى البصرى وغيرهم . وترك لنا كتابين : الأول "المفضليات " مجموعة رائعة من الشعر الجاهلى ، والثانى " كتاب الأمثال " والراجح أنهما من روايته ، وأن الذى تولى عملية الجمع والتدوين هم تلاميذه من بعده . وقد توفى المفضل فى الكوفة فى بدء خلافة هارون الرشيد حوالى عام ١٧٠ هجرية - ٧٨٦ م .

كان هؤلاء الطبقة الأولى من العلماء الرواة ، وفقوا جهدهم على رواية التراث العربى ، حين لم تكن الكتابة أداة حفظه الأولى ، يجمعون ما تبعثر من خبره ، وينخلون ما اختلط من أمره ، وإليهم تسند روايته ، وهم يذيعونه بين تلاميذهم فى حلق الدرس ، ويجادلون حوله فى مجاليس السمر ، فصنعوا الطبقة الثانية ، تسمع مهم ، وتعى عنهم ، وتحفظ مأثورهم :وتقيده أحيانا ، فإذا اقتربنا من نهاية القرن الثانى الهجرى وتجاوزناه إلى الثالث ، القرن التاسع

١٢) الإمام أبى على الحسين بن رشيق القيروانى ، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق الدكتور محمد قرقزان ، دار المعرفة ، بيروت لبنان.

١٣) بطرس البستانى ، أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، توزيع دار الجيل ، بيروت.

١٤) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربى العصر الجاهلى ، المجلد الأول ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١، دار العلم للملايين.